نوعا نويمرك *

النَّشاطيّة السياسية في علم الآثار في إسرائيل: من النظرية النقدية إلى الممارسة السياسية

أسعى في هذا المقال لتناول الأسلوب الذي يتبلور من خلاله ويتنظّم نشاط سياسيّ في مجال علم الآثار في إسرائيل، وذلك من خلال التأكيد على التوتّر القائم بين تنظّم مهْنيّ يتأسَس على المعرفة وبين تنظيم اجتماعيّ نشاطيّ. وسأتطرّق - بادئ بدء - إلى الأبعاد السياسية القائمة في مجال المعرفة الخاصّ بعلم الآثار بشكل عامّ، ثمّ سأخوض في المجال الخاصّ بإسرائيل/فلَسطين، وسأقف على المميّزات السياسية الخاصّة لعلم الآثار في هذا السياق الجيوسياسيّ، وذلك بالاستناد إلى المفهوم ما بعد الاستعماريّ. بعد ذلك سأتطرّق إلى البحث الميدانيّ الذي قمت به في جمعية "چـيشِر إلْ هعـقـار" [جسر إلى الماضي][1]، التي تعمل كمنظمة حقوق إنسان نشاطيّة تعارض الاستخدامات السياسية التي تتمّ في علم الآثار بإسرائيل، وإسقاطاتها على الصراع الإسرائيليّ - الفلَسطينيّ. ومن خلال ذلك، سأتطرّق إلى مبادئ التفكير التي توجّه المنظمة، وإلى ترجمة هذه المبادئ إلى نشاط سياسيّ، وإلى التحدّيات التي تنشأ في ميدان العمل في أعقاب العلاقة الوثيقة القائمة بين العلم أو المعرفة المهنيّة وبين معانيها السياسية.

علم الآثار، السياسة، والنشاط الاجتماعيّ

علم الآثار، رغم أنّه يُعتبر بالنسبة إلى الكثيرين مجال معرفة علميًّا ذا طريقة منظّمة ومبادئ بحث واضحة، هو، عمليًّا، مجال معرفة تربطه علاقة وثيقة بالمفاهيم القومية، الدينية، والإيديولوجية، وهو متأثّر بالقضايا الاجتماعية، السياسية، والاقتصادية (Wylie, 2007). وضمن أشياء أخرى، يُستخدم علم الآثار في كثير من الأحيان من أجل إعطاء شرعية ولتأسيس علاقة شعب أو مجموعة بمكان

* طالبة دكتوره في علم الآثار، ويعتمد المقال على رسالتها لنيل درجة الماجستير من الجامعة العبرية، دائرة علم الاجتماع.

في العُقود الأخيرة هناك إيديولوجيات أخرى تؤثّر بشكل كبير في التفسير الأثريّ، وفي المركز منها حركات دينية ودينية - قومية. إنّ للدين تأثيرًا مركزيًا في تشكيل الهُويّة بشكل عامّ، والهُويّة القوميّة بشكل خاصّ، وذلك بخلاف الادّعاء التقليديّ المبنيّ على أساس العلاقة - بالذات - بين القومية والعَلمانية.

معيّن، وهو يساعد في تشكيل روايات تاريخية وثقافية وإرسائها في المحيط (Gathercole & Lowenthal, 1990; Dietler, 1994; Meskell, 1998). ومن خلال ذلك، تُعتبر الدولة لاعبًا مركَزيًّا يؤثّر في ويشكّل بصورة كبيرة التفسير الأثريّ (Kohl & Fawcett, 1995). أيّ أنّ علم الآثار يُعتبر، في أحيان متقاربة، وسيلة في أيدي مؤسّسات وقوميّات من أجل بلورة تفسير اجتماعيّ عينيّ للماضي (Trigger, 1984; Silberman & Small, 1997; Kohl, 1998).

في العُقود الأخيرة هناك إيديولوجيات أخرى تؤثّر بشكل كبير في التفسير الأثريّ، وفي المركَز منها حركات دينية ودينية - قومية. إنّ للدين تأثيرًا مركَزيًّا في تشكيل الهُويّة بشكل عامّ، والهُويّة القوميّة بشكل خاصّ، وذلك بخلاف الادّعاء التقليديّ المبنيّ على أساس العلاقة - بالذات - بين القومية والعَلمانية. وعليه، يدّعي الباحثون أنّه يجب الوقوف على الطريقة التي تؤثّر بها هذه الإيديولوجيا في التفسير والمفاهيم في علم الآثار (Kohl, Kozelsky & Ben-Yehuda, 2007). وإنّ هذه العملية مصحوبة بدخول قوًى خاصّة، هي ليست مؤسّسات الدولة، حيث تؤثّر هذه بقوّة مضاعفة في التفسير الأثريّ. حركات، جمعيّات، ومنظّمات تتنافس على القوّة والسيطرة أمام مؤسّسات الدولة، حيث تصبح إيديولوجيّتها مركَزية في تحديد التفسير الأثريّ. حتّى إنّه، أحيانًا، يكون هناك تناقض بين إيديولوجيا جمعيّات خاصّة وبين الرسائل التي تبغي الدولة نقلها من خلال مكتشَفات أثريّة. (ibid.; يقوتيئيلي، ٢٠٠٨).

إنّ هذه المفاهيم، التي ترى إلى علم الآثار مجال معرفة متأثّرًا بإيديولوجيات وأفكار سياسية، كما أنّه، أيضًا، مجال معرفة يشكّل من جديد الواقع الاجتماعيّ والمحيطيّ، تتّصل بنزعات نقدية في فلسفة علم الاجتماع والعلوم الإنسانية. وفي مركَزها، هي مؤسّسة على أفكار فوكو في مسألة العلاقة الوثيقة بين المعرفة والقوّة والذاتية الكامنة في تفسير الواقع (Foucault, 1980)؛ ودونه هاراوي الذي يرى إلى "الموضوعية" مصطلحًا مشحونًا قائمًا داخل شبكة معقّدة من المعاني والتفاسير (Haraway, 2007). وفي علم الآثار تُسمّى هذه النزعات ما بعد إجرائية (post-processualism)، وفي جوهرها محاولة التعبير عن تشكيلة واسعة من الأصوات والنُّظُم الثقافية الخاصّة بالمعنى (Trigger, 1995; Meskell, 1998). ومن هنا، البحث الأثريّ هو سياسيّ بالضرورة، ووظيفته تفكيك آراء علمية حدّدتها نُخَب وأصحاب قوّة في الماضي. إنّ السياسة غارقة في النقاش الأثريّ وإنّ التفسير الأثريّ متعلّق، دائمًا، بسياق اجتماعيّ واسع (Shanks & Tilley, 1992 ;1987). ولأنّ علم الآثار ذو أبعاد سياسية بمجرّد تعريفه، على حدّ ادّعاء سيلبرمان، فإنّ الميل القوميّ في البحث وفي التفسير الأثريّ ليس أمرًا محلّيًا - مؤقّتًا، ولا يجري الحديث عن عارض يمكن علاجه ومرشّح للزوال (Silberman, 1995).

إنّ الوصل بين نزعات نقدية في علم الآثار مع التأكيد على عمل علماء الآثار كأداة مهمّة جدًا في الميدان، أدّى إلى اختبار من جديد للطريقة التي يؤثّر فيها علم الآثار في العالم. في السنوات الآخيرة هناك نزعة أوّليّة لعلماء آثار يسعون للتفكير من جديد في مكانة علم الآثار في الحقل الاجتماعيّ الواسع، وفي قدرته على إحداث تغيير اجتماعيّ وسياسيّ من داخل المهنة (Stottman, 2010). يرى كاستانييدا، مثلًا، إلى التغيير الاجتماعيّ عن طريق علم الآثار كـ"Vocational Activism"، ومعناه إحداث تغيير اجتماعيّ عامّ وواسع، بموازاة التغيير الداخليّ للمنشأ النظريّ وأساليب العمل داخل عالم المعرفة (Castañeda, 2014). هذا ويقترح فلاسفة آخرون طرقًا جديدة للتفكير في علم الآثار، وذلك لهدف دفع النَّشاطيّة السياسية في إطاره. فهكذا يقترح سطوطمان على علم الآثار أن يستعين بعلم

ومن هنا، البحث الأثريّ هو سياسيّ بالضرورة، ووظيفته تفكيك آراء علمية حدّدتها نُخَب وأصحاب قوّة في الماضي. إنّ السياسة غارقة في النقاش الأثريّ وإنّ التفسير الأثريّ متعلّق، دائمًا، بسياق اجتماعيّ واسع (Shanks & Tilley, 1987; 1992). ولأنّ علم الآثار ذو أبعاد سياسية بمجرّد تعريفه، على حدّ ادّعاء سيلبرمان، فإنّ الميل القوميّ في البحث وفي التفسير الأثريّ ليس أمرًا محلّيًا - مؤقّتًا، ولا يجري الحديث عن عارض يمكن علاجه ومرشّح للزوال (Silberman, 1995).

الإنسان التطبيقيّ وبالإجراءات التي مرّ بها في العقود الأخيرة، وفي إطارها نقد داخليّ واحتواء تطبيقات تغيير اجتماعيّ. كما أنّه يؤكّد على أهمّية التداخل الاجتماعيّ لعلماء الآثار، حيث في إمكانه أن يعطي القوّة لمجتمعات محلّية (Stottman, 2010). ويُضيف هودر على ذلك، ويؤكّد امتياز أداة ردّ الفعل اللّا–إراديّ في إطار البحث الأثريّ (Hodder, 2003). هذا ويدمج ماكجويجر النقد الماركسيّ، ويقترح تأسيس پراكسيس "محرِّر" (emancipatory praxis) في إطار علم الآثار، حيث يغيّر علاقات القوّة في إطار المجتمع. وإنّه يَمتَح، أيضًا، من المدرسة الفكرية النِّسْوِيّة، ويقترح القيام بإجراءات نقد داخلية تسعى لتغيير العلاقات الاجتماعية داخل عمل الآثار نفسه، أيضًا (McGuire, 2008).

تتوجّه أتالاي (Atalay, 2012) بالذات إلى الأسلوب النقديّ ما بعد الاستعماريّ، الذي يسعى لتحدّي المصادر الاستعمارية لمجال المعرفة هذا، التي تميّزت بعلاقات قوّة واضحة شكّلها العمل المِهْنيّ - العلميّ بين المؤسّسات السياسية والعلمية وبين الـ"أصلانيّين". في أماكن مثل أستراليا، الولايات المتحدة، أميركا اللّاتينية، والشرق الأوسط، قام علم الآثار الاستعماريّ بتشكيل تقسيمة تخطيطية وهرميّة بين الثقافات الأصلانيّة والتأريخات الأوروبية (مثلًا: Lydon & Rizvi, 2016; Ferris, Harrison & Wilcox, 2014; Politis & Perez Gollan, 2007; Van Dommelen, 1997). ولذلك، يسعى علم الآثار ما بعد الاستعماريّ للتطوير والتعميق في التأريخات المحلّية بالذات، والقيام بنزع الاستعمارية عن الممارسة العملية لعلم الآثار (Hart, Oland, & Frink, 2012: 1-2). وكجزء من ذلك، تؤكّد أتالاي على البحث الجماهيريّ المشارك، كأداة مهمّة في تطوير النَّشاطيّة الأثريّة (Atalay, 2012).

علم الآثار والسياسة في إسرائيل

إنّ العلاقة بين علم الآثار وبين السياسة والقومية تؤثّر تأثيرًا بالغًا على المجتمع الإسرائيليّ، وتصبح أداة مساعِدة في تأسيس العلاقة بين الشعب اليهوديّ والأرض. منذ بداية القرن الـ ٢٠، بدأ المجتمع اليهوديّ في فَلَسْطينا [فِلَسطين] بالاهتمام بالحفريّات الأثرية، التي اعتُبرت أداة لتصديق الحقّ اليهوديّ على الأرض. زيادة على ذلك، لقد شكّل علم الآثار أداةَ شرعيّة عقلية - منطقية لممثّلي الصهيونية العَلمانية لحكاية بداية الشعب. كما أنّه استُخدم لتجسيد التاريخ القديم المشترك لجميع اليهود في الشتات، وهكذا أسّس الماضي المشترك لليهود أينما كانوا، كبديل عن الماضي المهجريّ المفرِّق (فايچه، ٢٠٠٨). وكفعل ناتج، فمنذ قيام الدولة أصبحت المشاركة في الحفريّات الأثرية مناسبة نمطيّة - إسرائيلية في المدارس، في الجيش، ولدى السيّاح (Silberman, 1990)، وقد شكّلت المكتشَفات الأثرية إيحاء لغالبية الرموز الوطنية في إسرائيل (Elon, 1997). حتّى إنّ أهمّية علم الآثار في إسرائيل تعاظمت في ضوء النضال القوميّ، الذي عزّز محاولة إثبات أنّ الماضي اليهوديّ في البلاد سابق للماضي العربيّ (فايچه، ٢٠٠٨). صحيح أنّه في سنوات الـ ٨٠ بدأ هناك تراجع عن الالتزام الوطنيّ لعلم الآثار، وهكذا أُتيح المجال لدخول مفاهيم نقدية؛ ولكن، مع تعزّز حركات الصهيونية الدينيّة طرأت عودة إلى القومية وكذلك محاولة تملّك علم الآثار الوطنيّ وضمّه إلى الحاجات الإيديولوجية لهذه الحركات (المصدر السابق؛ فايچه، ٢٠٠٩).

نادية أبو الحاجّ تحلّل بتوسّع في كتابها *Facts on the Ground: Archaeological Practice and Territorial Self-Fashioning in Israeli Society* (2001Abu El-Haj)، الأسلوب الذي تطوّر به علم الآثار الإسرائيليّ وتمأسس كمشروع وطنيّ - استعماريّ. إنّها

تتوجّه أتالاي (Atalay, 2012) بالذات إلى الأسلوب النقديّ ما بعد الاستعماريّ، الذي يسعى لتحدّي المصادر الاستعمارية لمجال المعرفة هذا، التي تميّزت بعلاقات قوّة واضحة شكّلها العمل المهْنيّ - العلميّ بين المؤسّسات السياسية والعلمية وبين الـ"أصلانيّين". في أماكن مثل أستراليا، الولايات المتحدة، أميركا اللّاتينية، والشرق الأوسط، قام علم الآثار الاستعماريّ بتشكيل تقسيمة تخطيطية وهرميّة بين الثقافات الأصلانيّة والتأريخات الأوروبية.

تتطرّق إلى علم الآثار كمؤسّسة، "an institution, realized and practiced at the nexus of multiple social and political fields" (ibid., p. 2)؛ وتسأل كيف أصبح مركَزيًّا ومُقنِعًا إلى هذا الحدّ، في بلورة المفاهيم السياسية والخيال الثقافيّ في محيط إسرائيل/فلَسطين. وهي تبيّن كيف استُخدم علم الآثار كأداة قومية، وساعد في تعزيز، وتأسيس، وشرعنة إقامة دولة إسرائيل (ibid., pp. 1-21). وتذكر أبو الحاجّ أنّ علم الآثار مجال معرفة - علم - مجال نشاط، تطوّر في أوروبا إلى جانب نشوء الأفكار القومية. وقد بُلوِر بصورة جعلت الأجندة البحثية متعلّقة - إلى حدّ كبير - بمحاولة العثور على موارد وطنية لمجموعات عِرقيّة - إثنيّة مختلفة في المكتشَفات الأثرية. وقد نُقل هذا المفهوم إلى إسرائيل حتّى قبل إقامتها كدولة، وهكذا فإنّ علماء الآثار الأوائل عملوا من أجل تأسيس العلاقة اليهودية بإسرائيل من خلال مكتشَفات قديمة، قد استُخدمت كقاعدة من أجل تأسيس أساطير قومية، من قبيل أسطورة متسادا، التي توثّق أكثر فأكثر العلاقة بين الشعب اليهوديّ والمحيط. ولكنّ أبو الحاجّ لا تكتفي بربط علم الآثار في إسرائيل بالمشروع القوميّ. بل إنّها تربط بين مجال المعرفة الأثريّ ودخوله إلى محيط إسرائيل/فلَسطين، أيضًا، بالمنظومة الاستعمارية والإمبريالية، البريطانية الصهيونية، وهو ما يشكّل أرضيّة لنموّ أفكار قومية ولإمكانية تحقيقها. ومن وجهة نظرها، فقد تبلورت إسرائيل كدولة من خلال الممارسة العملية الاستعمارية، ما أدّى - إلى حدّ كبير - إلى محو المجتمع الفلَسطينيّ من المحيط التاريخيّ والجِغرافيّ، ضمن أشياء أخرى بالاستناد إلى وجهة النظر التي يقترحها جسم المعرفة - القوّة الأثريّ (ibid.).

هذا وإنّ عمل أبو الحاجّ يتمّ تنفيذه من خلال مناقشة ممارسات عينيّة، طرائق عمل، اختيارات وقرارات يتمّ اتّخاذها في العمل العلميّ، عن طريق المنظور الذي يقترحه علم الإنسان الخاصّ بالمعرفة. وإنّ هذا المفهوم يرى إلى العلم كحقل للاعبين مختلفين ومتنوّعين، تُنتَج فيه فئات، تُجرى اختيارات كلّ الوقت، وفيه أدوات وقوانين كثيرة ومتغيّرة، وممارسات تشكّل العمل العلميّ ونتائجه - حيث إنّها جميعًا مهمّة لفهم الحَركيّة وأسلوب عمل إنتاج القوّة (ibid., pp. 1-10). وتقترح أبو الحاجّ،

"أن نتعامل مع علم الآثار ليس كمجال معرفة؛ أي منظومة من الفرضيات التجريبية والنظرية حول الماضي (تلك التي تمثله أو ، في هذا الحالة ، تسيء تمثيله) وإنما يجب أن نركز على عامل أساسي من عوامل ممارسة علم الآثار– العمل على ادخار ثقافة ماديّة وإجراء حفريات فيها - والتفكير في تأثيرات أو عواقب هذه الممارسة العملية على العالم". (المرجع نفسه ، ص ١٠).

تقوم أبو الحاجّ بتعقّب التطوّر المؤسّساتيّ لعلم الآثار في إسرائيل منذ الانتداب البريطانيّ حتّى اتّفاقات أوسلو. وخلال ذلك، تتطرّق إلى علم الآثار لما بعد ١٩٦٧ باعتباره استمرارًا لمشروع تأسيس القومية الإسرائيلية وربطها بالأرض، كجزء من المشروع الاستعماريّ (ibid., pp. 234-238). ومع ذلك، إنّها تؤكّد، مثلما اقترح كوهل، كوزلسكي، وبن يهودا (Kohl, Kozelsky & Ben-Yehuda, 2007) وفايچه (٢٠٠٨; ٢٠٠٩)، حقيقة أنّ دخول التيّارات الدينية - القومية إلى الممارسة العملية لعلم الآثار أدّى إلى تغيير معيّن في التوجّه، وهو في أساسه قلب العلاقات بين التوراة والمكتشَف الأثريّ (Abu El-Haj, 2001: 234-238). والحدث السياسيّ المؤسِّس الآخر الذي تذكره أبو الحاجّ، والذي يؤثّر على ويشكّل العلاقات بين الإسرائيليين والفلَسطينيّين حول مسألة علم الآثار هو اتّفاقات أوسلو. وإنّ محاولات مناقشة مكانة الحفريّات الأثريّة، والجَدَل الجماهيريّ الذي تلاها، أكّدت - من جهة - استمرار وجود عناصر استعمارية في السلوك الإسرائيليّ، ومن جهة أخرى أتاحت - أوّل مرّة - للنقد الإسرائيليّ الداخليّ للممارسة العملية لعلم الآثار أن يجد تعبيرًا له (ibid., pp. 239-240).

ولكنّ أبو الحاجّ لا تكتفي بربط علم الآثار في إسرائيل بالمشروع القوميّ. بل إنّها تربط بين مجال المعرفة الأثريّ ودخوله إلى محيط إسرائيل/فِلَسطين، أيضًا، بالمنظومة الاستعمارية والإمبريالية، البريطانية الصهيونية، وهو ما يشكّل أرضيّة لنموّ أفكار قومية ولإمكانية تحقيقها. ومن وجهة نظرها، فقد تبلورت إسرائيل كدولة من خلال الممارسة العملية الاستعمارية.

البحث الميدانيّ

إنّ البحث الذي يستند إليه هذا المقال بحث خاصّ بوصف الأعراق البشرية، أجريته خلال السنتين ٢٠١٧–٢٠١٨ في جمعية "جسر إلى الماضي". حيث إنّ "جسر إلى الماضي" جمعية إسرائيلية "تشتغل بمكانة علم الآثار في المجتمع الإسرائيليّ وفي الصراع الإسرائيليّ - الفِلَسطينيّ" (**موقع المنظمة**). وإنّها تعتبر نفسها جزءًا من منظّمات حقوق الإنسان التي تعمل من خلال النَّشاطيّة السياسية ضدّ الاحتلال الإسرائيليّ والإساءة التي يُحدثها لدى السكان الفِلَسطينيّين المحلّيين. بدأت المنظمة عملها حوالي سنة ٢٠٠٩، وهي تضمّ اليوم سبعة أفراد طاقم، نصفهم علماء آثار. حيث يتركّز عملها، أساسًا، في شرق القدس وفي الضفة الغربية، وهو يشتمل على سلسلة أعمال مميّزة للمجتمع المدنيّ في إسرائيل: جولات، مؤتمرات، لقاءات مع سكّان، تقديم التماسات لمحكمة العدل العليا، تقديم اعتراضات تخطيطية، نشاط مجموعة ضغط، والدفع قُدُمًا بحملات في شبكات التواصل الاجتماعيّ، وما إلى ذلك.

يشتمل البحث على نحو خمسين نقطة استطلاع في تشكيلة متنوّعة وواسعة من المواقع: في نشاطات شعبية نظّمتها الجمعية، مثل المؤتمرات والجولات؛ في مناسبات ولقاءات انضمّ إليها الطاقم، من قبيل المناقشات في المحاكم أو لقاءات مع محامين؛ وكذلك في جلسات الطاقم وفي لقاءات العمل والتخطيط. كما أنّ البحث مبنيّ على أساس تحليل مضمون موقع الجمعية ونشاطها في الشبكة الاجتماعية، اللذين يشكّلان مساحة للعرض الذاتيّ الجماهيريّ للمنظمة. نجد في هذه المواقع تشكيلة من موادّ الخلفية، النشرات، التحقيقات، الخرائط، وغيرها، التي تعرض، تعبّر عن، وتدفع قُدُمًا بأفكار المنظمة، وتساعدني في فهم الخلفية العقلية - المنطقية النظرية والعملية التي توجّهها. كما أنّني أجريت مقابلات مع مجمل عاملي المنظمة. وقد اخترت القيام بهذه المقابلات في مرحلة متقدّمة نسبيًّا من البحث الميدانيّ، حيث إنّها ساعدتني في تعميق وتوسيع الانطباعات التي تراكمت من الاستطلاعات ومن بحث المضمون، وأتاحت لي أن أختبر كيف يفكّر النشطاء بالنسبة إلى العمل السياسيّ الذي هم أنفسهم يدفعون به قُدُمًا.

إنّ اختياري أن أبحث وأختبر عمل منظمة "جسر إلى الماضي" يساعد في مواصلة العمل البحثيّ الذي تمّ حتّى الآن، في مجال السياسة الخاصّة بعلم الآثار. هذا ويسعى هذا البحث للربط بين العمل السياسيّ الفاعل وتغيير الواقع الاجتماعيّ، وبين الجهد المبذول لتحدّي واختبار طريقة عملية إنتاج المعرفة الأثرية في المحيط الإسرائيليّ من جديد. وفي هذا الإطار، إنّه يقترح توسيع الانتباه البحثيّ عن طريق تغيير وجهة النظر: بدلًا من التركيز على الطريقة التي تنظّم وتفهم بها مؤسّسات الدولة والأكاديميا علم الآثار كمؤسّسة قومية - إيديولوجية، يسعى عملي لاختبار الطريقة التي تنعكس بها المعرفة الأثرية في نظر من يسعون للاعتراض على الأسلوب العلميّ - المِهْنيّ لهذا المجال.

"جسر إلى الماضي" - نَشاطيّة سياسية في علم الآثار في إسرائيل

نقد علميّ - عرقيّ-إثنيّ

تعبّر "جسر إلى الماضي" عن نقد مباشر وواضح للكيفية التي تطوّرت بها طريقة العمل الأثرية بوجه عامّ، وعلم الآثار في إسرائيل بوجه خاصّ، كجسم معرفيّ يفعّل قوّة على المحيط: يطرح فيه قصّة منظِّمة معيّنة ويدفع قُدُمًا بملكية على الأرض. إنّ هذا النقد

وفعلًا، إنّ المبادئ المهنية لـ"جسر إلى الماضي" نابعة من مفهوم أخلاقيّ - علميّ واسع بالنسبة إلى أسلوب عمل علم الآثار ومسؤوليّة عالم الآثار عن المحيط الذي يعمل فيه. وفي مقابلة معه، أسهب داني في الحديث عن مفهومه في مجال الأخلاق في علم الآثار:

هذه أسئلة تصل إلى كلّ عالم، يجب على كلّ عالم أن يواجهها، والحقيقة أنّ هناك الكثير من المنظمات التي لديها أخلاق. للأطبّاء توجد أخلاق، للمحامين توجد أخلاق، لشتّى الناس توجد أخلاق، وكذلك لعلماء الآثار توجد أخلاق.

يستند إلى نظريّات نقدية ذكرتها آنفًا، وخصوصًا إلى مفاهيم ما بعد استعمارية أثّرت في علم الآثار في أنحاء العالم. وخلال ذلك، يلاحَظ تأثير التشخيصات العينيّة لأبو الحاجّ بالنسبة إلى حقل المعرفة - القوّة - الممارسة العملية لعلم الآثار في إسرائيل.

إنّ توجّه المنظمة هذا ينعكس، مثلًا، بمفهوم أنّ "المكتشَف الأثريّ يجب ألّا ولا يستطيع أن يشكّل وسيلة لإثبات ملكيّة شعب أو أبناء دين ما على المكان" (المصدر السابق). كما أنّ شعار المنظمة، الذي يظهر على لوحة معروضة في كلّ واحد من المؤتمرات، يعرض المفهوم نفسه، وحسَبه: "الماضي [هو] للمكان وليس لقومية [الإنسان]". حسَب سنير،[٢] وقد حدّثني عالم آثار في المنظمة في المقابلة، قائلًا: "إنّني أحبّ شعارنا جدًا [...] إنّه محرّكنا حتّى اليوم، وإنّه - حسَب رأيي - محرّكي حتّى اليوم. وهذا هو السبب لكوني لا أزال هنا لأنّ هذا هو ما يهمّني" (٢٠١٨/٠٨/١٤). داني، أكاديميّ يرافق المنظمة، حكى هو، أيضًا، في المقابلة أنّه بالنسبة إليه "تأسيس [المنظمة] هو الاعتراف بأنّ علم الآثار موجود في خدمة الجميع، موجود في الخارج [...] أنّ له مكانة أخلاقية، أنّه يجب أن يرسم لنفسه حدودًا أخلاقية" (٢٠١٨/٠٢/٠٣). إنّ هذه الأفكار هي - في الوقت نفسه - نظرية وشمولية، وتتطرّق إلى الممارسة العملية الأثرية بشكل عامّ، كما إلى محليّين وخاصّين - فردانيّين يزورون الحفريّات الأثرية في إسرائيل، القدس، والضفة الغربية.

وفعلًا، إنّ المبادئ المهنية لـ"جسر إلى الماضي" نابعة من مفهوم أخلاقيّ - علميّ واسع بالنسبة إلى أسلوب عمل علم الآثار ومسؤوليّة عالم الآثار عن المحيط الذي يعمل فيه. وفي مقابلة معه، أسهب داني في الحديث عن مفهومه في مجال الأخلاق في علم الآثار:

> هذه أسئلة تصل إلى كلّ عالم، يجب على كلّ عالم أن يواجهها، والحقيقة أنّ هناك الكثير من المنظمات التي لديها أخلاق. للأطبّاء توجد أخلاق، للمحامين توجد أخلاق، لشتّى الناس توجد أخلاق، وكذلك لعلماء الآثار توجد أخلاق. [...] ولماذا يجب أن تكون لعلماء الآثار أخلاق وليس لعلماء الآشوريّات؟ ذلك لأنّ علماء الآثار في الخارج، هم هناك، هم في الميدان، هم على تواصل طَوال الوقت، إنّهم يغيّرون محيطهم، وليس ذلك فقط، أي أنّ ذلك منحًى واحد. أمّا المنحى الثاني فهو أنّنا ننتج جسم معرفتنا. [...] فعلماء الآثار مشغولون طَوال الوقت بهذا الأمر وكذلك يُنتجون، أي أنّ قرار أين يجب الحفر، بأيّ سرعة يجب الحفر، ومع من يجب الحفر، وبأيّ أدوات، ما هي الأسئلة - إنّ كلّ ذلك يؤثّر على ما يخرج من الأرض، ليس هناك رقم قياسيّ محايد ما موجود في الأرض" (المصدر السابق)

أصبحت الأخلاق في علم الآثار مسألة مركَزية بالنسبة إلى الكثير من الفلاسفة (مثلًا: Hodder & Hutson, 2003; Trigger, 1995; Shanks & Tilley, 1987)، كما أنّ مشاريع أثرية مختلف متأثّرة بهذا الجَدَل (مثلًا: Atalay et al., 2014; Stottman, 2010; McGuire, 2008; Hodder, 2003). ترى "جسر إلى الماضي" إلى علم الآثار في إسرائيل ناقصًا الكثير من العناصر الضرورية للعمل العلميّ الأخلاقيّ، وهو عنصر أساسيّ ومركَزيّ في النقد الذي تقترحه المنظمة. ومن خلال ذلك، تركّز المنظمة - على نحو كبير - على الطريقة التي يتمّ فيها تنفيذ الممارسة العملية الأثرية من ناحية مهنية. كما أنّها تمسّ إجراءات اتّخاذ القرار في مجال المحافظة، حيث هدفها أن تحدّد في كلّ موقع وفي كلّ حفريّة ما هي الطبقات التي سيتمّ الحفاظ عليها وأيّ منها ستتمّ إزالته عن وجه الأرض. وعلى نحو شبيه بمنطوق الشعار، ترى المنظمة علم الآثار بشكل عامّ، وذلك الخاصّ بالقدس بشكل خاصّ، كمن

المسألة الأخرى المشتقّة من هذه المفاهيم تحوم حول السؤال: إلى من يتبع علم الآثار وعلى من يؤثّر. وفي هذا السياق، إنّ أحد مبادئ المنظمة هو أنّ "مصطلح 'موقع أثريّ' ليس، فقط، تشكيلة الطبقات الجاري حفرها في مكان معيّن، لا بل هو مكان مهمّ في الحاضر، حيث فيه أو بمقربته يسكن أُناس، بتثافتهم، نمط حياتهم، واحتياجاتهم"

"يكتشف نسيجًا اجتماعيًّا ثريًّا ومتنوّعًا ويتيح لكلّ واحد أن يلاحظ روابطه بالماضي" (موقع المنظمة). من هنا، "تساهم كلّ طبقة أثرية في فهم التاريخ على أساس متساوٍ، وعلم الآثار لا يصنّف ثقافات بطريقة هرميّة" (المصدر السابق). وبناء عليه، تنتقد المنظمة إجراءات اتّخاذ قرارات حاسمة في شأن الحفاظ على طبقات بالاستناد إلى تفضيلات ثقافية وقومية لعلماء الآثار.

المسألة الأخرى المشتقّة من هذه المفاهيم تحوم حول السؤال: إلى من يتبع علم الآثار وعلى من يؤثّر. وفي هذا السياق، إنّ أحد مبادئ المنظمة هو أنّ "مصطلح 'موقع أثريّ' ليس، فقط، تشكيلة الطبقات الجاري حفرها في مكان معيّن، لا بل هو مكان مهمّ في الحاضر، حيث فيه أو بمقربته يسكن أُناس، بتثافتهم، نمط حياتهم، واحتياجاتهم" (المصدر السابق). ومن أجل ذلك، أقامت الجمعية - في السابق - عملية حفر أثريّ جماهيريّ لهدف "تعزيز العلاقة بين السكان والموقع الأثريّ وميراث المكان الذي يعيشون فيه" (المصدر السابق). إنّ هذه الممارسة العملية تنشأ من فكرة "علم الآثار الشعبيّ" الذي صحيح أنّه يراكم تسارعًا في العالم في العقود الأخيرة، إلّا أنّه لا يزال غائبًا عن المنظر الطبيعيّ الإسرائيليّ، هكذا حسَب أقوال داني. إنّ هذه المدرسة الفكرية ترفع لواء دمج المجتمع الواسع في الحفريّات الأثرية، من خلال التطرّق الواسع إلى السياق وإلى التبعات الاجتماعية - السياسية لمجال المعرفة هذا (مثلًا: Atalay, 2012; Merriman, 2004; Shackel & Chambers, 2004; Faulkner, 2000).

بالإضافة إلى ذلك، واستمرارًا للتحليلات النظرية النقدية التي تمّت في هذا الموضوع، إنّ "جسر إلى الماضي" تشتغل بالطريقة التي من خلالها تؤثّر قوًى اجتماعية مختلفة - أفكار، إيديولوجيات، موارد اقتصادية، ومؤسّسات على الحفريّات الأثرية. ومن خلال ذلك إنّها تختبر تأثير مصالح قومية، تدخّل الدولة، ومنظّمات خاصّة، دينية في الأساس. وكما ذُكر، إنّ لكلّ هؤلاء تأثيرات كبيرة على إجراءات اتّخاذ القرار في المواقع الأثرية، كما على بلورة روايات تاريخية مبنيّة على أساس تفسير المكتشَفات. في إسرائيل تدخّل الدولة بارز بشكل خاصّ، في أعقاب العلاقة الوثيقة بين علم الآثار ودولة إسرائيل والصهيونية منذ ١٩٤٨ بطريقة تنتج تفضيلًا واضحًا وصريحًا للرواية وللتاريخ اليهوديّين (فايـچـه، ٢٠٠٨؛ بن–أري، ٢٠٠٨؛ Gori, 2013; Hallote & Joffe, 2002; Abu El-Haj, 2001; Silberman, 2001; Ben-Yehuda, 1995). وفي هذا الإطار، ترى "جسر إلى الماضي" إلى الجامعات كمؤسّسات تعزّز وتنمّي الصلاحية الدولية في الحفريّات الأثرية. في حين أنّه بالنسبة إلى الكثيرين، الجامعات هي رمز لموقع من الرؤية النقدية، تحدّي المفاهيم الرائجة، وحرّية النشاط البحثيّ؛ وبالنسبة إلى "جسر إلى الماضي" تشكّل هذه مؤسّسات تتعاون مع المصنع القوميّ - الدوليّ - الصهيوني ومع الرواية الأحاديّة البعد التي يرسمها. وقد تطرّق داني في المقابلة إلى الطريقة التي يرى بها هذه العلاقة تتبلور:

> [قيل لي في الماضي] إنّني إذا كنت أعتقد أنّ تعاون الجامعات مع سلطة الآثار هو أمر كبير، فلحسن الحظّ أنّني لست عميدًا، وأنا لا أرى كلّ التعاونات الأخرى التي تقيمها الجامعة مع الحكومة. [...] إنّ ذلك، عمليًّا، كشفني، أيضًا، على هذا المنحى؛ أنّ الأكاديميا لدينا تقبع داخل السلطة، وليس هناك الكثير من المساحة. (٢٠١٨/٠٢/٠٣)

وكذلك أمنون، عالم آثار في المنظمة، تطرّق إلى هذا الرابط بين علماء الآثار، الدولة والجدَل الصهيوني:

> [علماء الآثار] صِهيونيّون، وقد رَوَوْا رواية صِهيونية. لقد ذهب علماء الآثار ليبحثوا عن البقايا القديمة، عن التوراة، فعندها كلّ جَدَل علم الآثار الإسرائيليّ

تمتلك "جسر إلى الماضي" نقدًا علميًا - أخلاقيًا - مركّبًا، مبنيًا على أساس مفاهيم نقدية تسعى للنيل من الوصاية الحصرية لعلماء الآثار على المعرفة والتفسير، كما أنّها تعارض سيطرة إيديولوجيات أو مؤسّسات سياسية على المكتشَفات، والطريقة التي تتبلور بها حتّى تصبح روايات تاريخية. من هنا، يجري الحديث عن نقد شامل، يتطرّق إلى مجال المعرفة والممارسة العملية نفسها الخاصّة بعلم الآثار، والطريقة التي يتمّ تنفيذها بها في المحيط.

> جَدَل صِهيونيّ، وقد قاموا بذلك بدافع إيمانيّ [...] وفي الجامعات، مثلًا، ينتهي علم الآثار بالحقبة البيزنطية، حيث إنّ كلّ الحقبة الإسلامية لا يتعلّمنوها إطلاقًا. في السنوات الأخيرة أكثر قليلًا، لكن ليس هناك برنامَج ولا أيّ شيء. حيث تُسمّى أقسام علم الآثار أقسام علم الآثار التوراتيّ. فكلّ شيء، إذًا، مبنيّ حول هذا الشيء، وهم لا يُنكرون ذلك إطلاقًا. (٢٠١٨/٠٨/١٣)

كما جاء، قُبيل نهاية القرن الـ ٢٠، اندمجت إيديولوجيات أخرى في منظومة القوى التي تشكّل علم الآثار، وذلك الخاصّ بإسرائيل أيضًا، وهي في جوهرها حركات دينية ودينية - قومية. حركات من هذا النوع، أيضًا، تتوجّه هي الأخرى، في أحيان كثيرة، إلى علم الآثار مع أجندة أو مصالح سياسية عينيّة. وبناء عليه، تسعى "جسر إلى الماضي" للدفاع عن علم الآثار في وجه التفسيرات الانتقائية للتاريخ، تلك المُخضَعة إلى مصادر نصّيّة (دينية وغيرها، أيضًا)، وكذلك في وجه استخدامه كموفّر لمسوّغات إيديولوجية لإثبات حقّ أو ملكية تاريخية على المحيط.

وعليه، تمتلك "جسر إلى الماضي" نقدًا علميًا - أخلاقيًا - مركّبًا، مبنيًا على أساس مفاهيم نقدية تسعى للنيل من الوصاية الحصرية لعلماء الآثار على المعرفة والتفسير، كما أنّها تعارض سيطرة إيديولوجيات أو مؤسّسات سياسية على المكتشَفات، والطريقة التي تتبلور بها حتّى تصبح روايات تاريخية. من هنا، يجري الحديث عن نقد شامل، يتطرّق إلى مجال المعرفة والممارسة العملية نفسها الخاصّة بعلم الآثار، والطريقة التي يتمّ تنفيذها بها في المحيط، كما أيضًا، ومن خلال العلاقة المباشرة، إلى التدخّل الدوليّ - القوميّ في تفسير المكتشَفات. وأكثر من ذلك، ففي هذا النوع من النقد، المقترَح في المحيط المتنازَع لشرق القدس والضفة الغربية، يندمج نقد سياسيّ مباشر لا يخفى على العين. فعلى نحو كبير، إنّ المناحي المختلفة للنقد المذكورة أعلاه، نابعة من طائفة الإسقاطات الخاصّة بعلم الآثار على مناطق خاضعة لعدم موافقة قانونية - سياسية - إيديولوجية، ولنضال سياسيّ مباشر ومستمرّ. وهكذا، عمليًا، لا يمكن الفصل بين النقد العلميّ - الأخلاقيّ للمنظمة، وبين المعارضة السياسية التي تبغي التعبير عنها من خلاله. واستمرارًا لذلك، أريد أن أمثّل للربط بين العلميّ والسياسيّ مثلما يتبلور في الموقع الأثريّ "عير داڤيد"، ثمّ سأقف عند إسقاطات هذه المواقف على التغيير الذي تريد المنظمة الدفع به قُدُمًا في ميادين عمل مختلفة.

الممارسة العملية السياسية للنقد النظريّ - الموقع الأثريّ "عير داڤيد" كمثال حيّ

من أجل الربط بين المفهوم الفكريّ - العلميّ للمنظمة وعملها السياسيّ، سأعرض مثالًا مركَزيًا في عمل المنظمة، حيث يساعد في توضيح الأبعاد المختلفة للنقد ومضمونها السياسيّ. تعمل المنظمة منذ سنوات، منذ تأسيسها، في الموقع الأثريّ "عير داڤيد" الخاضع لمسؤولية سلطة الطبيعة والحدائق، لكن يتمّ تفعيله والإرشاد فيه من قِبل جمعية "إ ل ع"د" (إلى عير داڤيد). وفي هذا الموقع، القائم في حيّ سلوان الفِلَسطينيّ في شرق القدس، هناك نضال طويل الأمد بالنسبة إلى توسّع المستوطنة اليهودية "عير داڤيد"، وضمن أشياء أخرى من خلال تطوير وتوسيع موقع الآثار. و"جسر إلى الماضي"، من خلال شتّى الأدوات التي في حيازتها، تحاول أن تقاوم توسّع السيطرة الأرضية والفكرية للمستوطنة، الذي تتيحه وتدعمه الدولة، وفي المقابل إسماع صوت وحكاية السكان الفِلَسطينيّين.

وفي هذا الإطار، قبل نحو سنتين، بدأت سلطة الآثار الحفر في الموقع الأثريّ داخل أنفاق حفر، لهدف الكشف عن مستوى

كما أنّ لطبيعة هذا الحفر إسقاطات سياسية تُعتبر جزءًا لا يتجزّأ - كما جاء - من نقد المنظمة. إنّ الحفر تحت الأرض يوسّع - من النظرية إلى التطبيق - سيطرة جمعية "إ لعاد" على مساحات في الموقع، وفي هذه الحالة العينيّة في أسفل الأرض، وذلك رغم أنّ المساحات التي على وجه الأرض ليست بالضرورة بملكية الجمعية.

شارع تمّ اكتشافه في الموقع، وتمّ ربطه بأيّام الهيكل الثاني. النقد لدى "جسر إلى الماضي" بالنسبة إلى هذه العملية يوضّح الأبعاد الأخلاقية والسياسية في نقد المنظمة. فمن ناحية علمية، إنّ طريقة الحفر هذه تسيء إلى المفهوم الأساسيّ لعلم الآثار الذي يعتمد العمل من أعلى إلى أسفل، عن طريق كلّ الطبقات التاريخية التي تكوّن التلّ. فبدلًا من ذلك، إنّها تتغلغل مباشرة إلى الطبقة التي تهمّ مشروع البحث، وتتجاهل مكتشَفات يمكن أن تنوجد في طبقات أخرى. وفي جولة في سلوان أوضح أمنون لي بشكل مفصّل نقده لهذا الحفر في الأنفاق، وهكذا كتبت عن ذلك في يوميات الميدان:

> يوجد هناك حفر في نفق [...] هو ليس حسَب أخلاق علم الآثار، يوضح لي أمنون. [...] هذا الانتقال إلى الحفر في أنفاق، الذي تديره سلطة الآثار، حيث يجد علماء الآثار مسوّغات مختلفة لسبب حفرهم بهذه الطريقة. ويواصل أمنون ويشرح أنّ المبدأ الأهمّ في علم الآثار هو علم طبقات الأرض. هذه هي الفكرة كلّها. مرّة، قبل أن نأتي، كان الناس يعيشون واحدًا فوق الآخر، وقد تشكّلت هذه الطبقات. ونحن، لكي نتعلّم الحضارة والتاريخ، نأتي ونحاول كشف ما الذي تحكيه لنا، عمليًا، هذه الطبقات، ونحاول تأريخ الأشياء، من خلال أنواع من التصنيف. هذه هي الأداة الأثرية. لذلك من المهمّ جدًا الحفر في طبقات، لأنّ هذه هي الفكرة كلّها التي يتمأسس عليها هذا العلم. ففي اللحظة التي يتمّ فيها الحفر في أنفاق يتمّ التعارض، عمليًا، مع مبدأ مركزيّ جدًا لمجال المعرفة هذا، وعندها، ماذا سيتبقّى؟ (٢٠١٨/٠٥/٢٤)

كما أنّ لطبيعة هذا الحفر إسقاطات سياسية تُعتبر جزءًا لا يتجزّأ - كما جاء - من نقد المنظمة. إنّ الحفر تحت الأرض

الهيكل المزعوم: مقدّس مختلق في خدمة سلطة زمنية.

يوسّع - من النظرية إلى التطبيق - سيطرة جمعية "إ لعاد" على مساحات في الموقع، وفي هذه الحالة العينيّة في أسفل الأرض، وذلك رغم أنّ المساحات التي على وجه الأرض ليست بالضرورة بملكية الجمعية. من هنا، فإذا كانت المنظمة حتّى هذه الحفريّات قد ناضلت ضدّ إغلاق طرق المرور، أو الممرّات، ومنع العبور والمنالية عن سكان سلوان إلى مناطق في القرية، بحجّة تسويغ أنّ هذا موقع أثريّ، يجري الحديث هنا عن نضال ضدّ توسّع أرضيّ متعدّد الأبعاد للموقع.

وعدا ذلك، إنّ مفهوم المحيط في الموقع يتغيّر، حيث إنّ السائح الذي يأتي إلى المكان يمرّ في مسار مشي موجود كلّه تحت الأرض، فيختلط إدراك المحيط ويلتبس، حيث يصبح من الصعوبة بمكان تمييز الموضع المشحون للموقع الأثريّ: منطقة محتلّة في شرق القدس، مقامة فيها مستوطنة دينية إيديولوجية، موجودة داخل وكجزء من موقع أثريّ، في وسط قرية فلسطينية. تطرّق پولان وچويازدا قبل عَقد، قبل الحفر الحاليّ في الأنفاق،

إلى إستراتيجيّات تشكيل المنظر الطبيعيّ والمحيط التي تفعّلها جمعية إلعاد، والتي تعبّر عن تطرّف دينيّ وقوميّ مبنيّ على أساس الرواية التوراتية (Pullan & Gwiazda, 2009). ويدّعي داڤيد لاندي، في بحث متأخّر أكثر، مبنيّ على أساس عمل ميدانيّ وتحليل مضمون قام به على جولات وردود أفعال سيّاح على جولات في الموقع، أنّ مشغّلي الموقع نجحوا في بلورة الجَدَل السياحيّ بطريقة تتجاهل الوجود الفلَسطينيّ في المحيط، وتقدّم القدس ككيان يهوديّ، فقط (Landy, 2017).

وعليه، تدّعي "جسر إلى الماضي" أنّ العلم المنفَّذ بذراع الدولة مجنّد لمشروع تاريخيّ - أيديولوجيّ معيّن، بطريقة تمسّ وتؤدّي إلى محو مادّيّ ومفاهيميّ للسكان الفلَسطينيّين أبناء المكان. لا يجري الحديث، فقط، عن مشروع يُخلّ بمبادئ أخلاقية، أو أنّ طريقة الحفر فيه لا تفي بمبادئ علمية رئيسة؛ لا بل عن مبادرة تؤدّي إلى إساءة حقيقية إلى مجموعة سكّانية أصلانية - محلّية. إنّ الدمج بين هذين النسيجين من النقد - العلميّ - الأخلاقيّ والسياسيّ - موحّد معًا بطريقة لا تقبل الفصل. يعزّز هذا الربط - من جهة - المقاومة التي تسعى المنظمة للتعبير عنها، لكنّه - من جهة أخرى - يولّد توتّرات تتحدّى قدرة المنظمة على التأثير. وأريد التطرّق إلى توتّر واحد مركَزيّ، بين البعد المِهْنيّ والبعد السياسيّ في عمل المنظمة، وكيف يؤثّر ذلك على العمل أمام المجتمع العلميّ والمجتمع الإسرائيليّ.

بين المِهنيّ والسياسيّ: تحدّيات في جعل الأفكار المهنية ممارسة عملية سياسية

إنّ إحدى المعضلات الأساسية التي تواجهها المنظمة، بشكل مباشر وخفيّ على حدّ السواء، هي كيف تستطيع أن تكون، أيضًا، سياسية وكذلك مهنية في الوقت نفسه. وأكثر من ذلك، كيف أنّ هذه المَوْضَعة الخاصّة بالمنظمة تلقى قبولًا لدى الميادين والمجتمعات التي تحاول التأثير عليها. عبّرت يوڤل، إحدى عاملات المنظمة، وهي ليست عالمة آثار بتحصيلها وتأهيلها، عن هذه المعضلة، قائلة:

> تمسك [المنظمة] الحبل من طرفيه، وأرى أنّ ذلك ذكيّ من جانبها. إنّها تقول إنّ كلّ شيء سياسيّ، وكأنّ ذلك التوتّر قائم بين المهنية والسياسية، وكلّنا يعلم أنّ ذلك.. [فإنّه] ما الأمر، فنحن طَوال الوقت نقول إنّنا كمهنيّين نريد أن ننصحكم بألّا تقبلوا تأريخات القدس، لكنّنا طَوال الوقت نلعب معهم لعبة مزدوجة. إنّنا نستخدم المهنية من أجل الدفع قُدُمًا بعقيدتنا السياسية. إنّنا طَوال الوقت نضع ورقة التين المهنية، نختبئ وراءها، ونحاول أن نتقدّم على هذا النحو. إنّه نوع من أمر غير منصف القيام به. وكأنّه كيف سنتحدّث باستقامة ونقول إنّ دوافعنا هي سياسية عمليًا، وإنّنا نريد أن نغيّر اتّجاه السياسة؟ إنّنا نريد أن تُقسَّم القدس، إنّنا نريد أشياء كهذه. بالنسبة إليّ إنّ ذلك كما.. لا أزال لا أعرف كما.. لأنّه، أيضًا، من جهة أخرى، إلغاء هذه المهنية تمامًا خطأ أيضًا، هناك say [بالقول المِهْنيّ]. إنّه شيء بين ما بعد الحداثة والحداثة، هل تفهمين؟ أنا لا أعرف الإجابة الفلسفية عن ذلك. لأنّ المهنيّين لديهم، فعلًا، طقم أدوات آخر، وإلى حدّ ما أهمّ من مجرّد شخص لديه رأي. (٢٠١٨/٠٧/٠٨)

يستند هذا الفارق إلى الفهم العامّ لمصطلح الـ"مهنة" الذي لا يشمل أبعادًا سياسية على نحو ضمنيّ جُوّانيّ. فالمهن هي أشغال مبنيّة على أساس المعرفة التقنيّة أو التكتيكيّة (Evetts, 2013). صاحب أو صاحبة المهنة هم من حصّلوا معرفة وثقة، ومرّوا في عملية تنشئة اجتماعية كأعضاء في مجال عمل هم مسؤولون عنه (accountable)، ومن خلال ذلك، هم يخضعون لمراقبة دائمة من نظرائهم (Schinkel & Noordegraaf, 2011: 69). يحظى هذا الإدراك بكثير من النقد في الأدبيّات المهنية الاجتماعية، حيث يقرّر هذا النقد أنّ أصحاب المهن والمنظمات المهنية يعملون من أجل إخفاء أبعاد من السيطرة كامنة في ما يقومون به - داخل العالم المِهْنيّ العينيّ وبين عوالم مهنية مختلفة (ibid., pp. 70-71; Saks, 2016). حتّى إنّ إڤتس تقترح أن ترى إلى المظاهر المهنية - التخصّصية كنوع معيّن من الإيديولوجيا (Evetts, 2003). ويضيف بورديه على ذلك، ويرى إلى المهنية أنّها تشمل أبعاد الخطر، لسبب الحيادية (neutrality) وأكثر من ذلك الطبيعية (naturality) المتعلّقتين بالإدراك السائد للمصطلح (Bourdieu & Wacquant, 1992: 242-243; Schinkel & Noordegraaf, 2011: 72). وعليه، إنّ المهنية تخلق توتّرات داخل العالم المِهْنيّ، بين عالم مِهْنيّ وآخر، وبين أصحاب المهنة وصنّاع القرار، الدولة، والمجتمع المدنيّ. وكما جاء، علم الآثار، الذي يشكّل مجال معرفة، عالم معرفة علمية ومهنة أكاديمية، تعمل في محيط متعدّد الأبعاد، هو مثال يؤكّد الأساليب المختلفة التي تنطوي فيها المهنية على إسقاطات سياسية (Wylie, 2007).

تعترف منظمة "جسر إلى الماضي" بالمضامين السياسية الموجودة لاستخدام المهنة، سواء لدى المنظمات والمؤسّسات المختلفة التي تعمل في الميدان، أم في إطار عملها هي، كما يتّضح من

التعامل الرسمي الإسرائيلي مع الآثار: لتذهب حقائق العلم إلى الجحيم.

أقوال يوڤل إنّ التحدّي هو أنّ الدمج بين المِهْنيّ والسياسيّ ينعكس أكثر بشكل فعليّ، وهذا، أيضًا، يتّضح، في اللّقاء مع الجمهور الذي تريد المنظمة التأثير عليه، وفي جوهره المجتمع العلميّ والمجتمع الإسرائيليّ. وأريد أن أتوسّع، الآن، بالنسبة إلى التحدّيات التي تخلقها المفاهيم الفكرية للمنظمة وطريقة عملها، بالنسبة إلى هذين المجتمعين المركَزيّين.

المجتمع العلميّ

المجتمع العلميّ هو - إلى حدّ كبير - الأرضية التي منها نشأ علماء الآثار في "جسر إلى الماضي". مؤسّسو المنظمة، الذين لا يزالون يلعبون دورًا مركَزيًّا في نشاطها، جاؤوا من حقل المعرفة الأثريّة في إسرائيل. لقد تعلّموا في المؤسّسات ذات الصلة للتعليم العالي، وعملوا لفترة لا يُستهان بها في سلطة الآثار. هذا هو المسار الكلاسيكيّ لكثيرين من علماء الآثار في إسرائيل، أولئك الذين لا يندمجون داخل الأكاديميا الإسرائيلية كباحثين. وعلى أساس هذه الخبرة البحثية والمهنية نشأ النقد العلميّ للمنظمة، الذي يسعى لتقويض قسم كبير من الفرضيات الأساس لعلم الآثار الإسرائيليّ، مثلما تطوّر منذ أيّام الانتداب البريطانيّ. لذلك، إنّ الكثير من نشاطات المنظمة موجّه إلى المجتمع العلميّ، بصورة مباشرة وغير مباشرة. الهدف هو التأكيد على الحاجة إلى تغيير الأخلاق والممارسة العملية المهنية، والدفع قُدُمًا بتوجّه بحثيّ مفتوح، مرن، ممكّن، ومتعدّد الثقافات، لا يتبنّى - بشكل أوتوماتيكيّ - وجهة النظر الإسرائيلية - اليهودية في البحث الأثريّ في المحيط.

إنّ هذه الجهود لتشكيل لاعب داخل المجتمع العلميّ والتأثير عليه تُنتج حَركيّة معقّدة من التأثير، حيث هي - إلى حدّ كبير - تصعّب القدرة على التأثير. إنّ تقويض المعرفة، ودمجها في ادّعاءات سياسية، داخل المجتمع العلميّ الذي لغته هي المعرفة نفسها وهو المسؤول الرسميّ عن إنتاجها - يشكّلان تحدّيًا مركّبًا. إنّ تحدّيات من هذا النوع لا تميّز "جسر إلى الماضي". وتشير مور، مثلًا، إلى علماء أميركيّين في سنوات الـ٥٠–٧٠ قرّروا فصل نشاطهم السياسيّ عن الحقل العلميّ، وقد أقاموا منظمات خارج - علمية للدفع قُدُمًا بأهدافهم السياسية، في محاولة للحفاظ على الفصل بين المِهْنيّ والسياسيّ (Moore, 1996). المنظّمات البيئية، التي تعمل بأسلوب شبيه بذلك الخاصّ بـ"جسر إلى الماضي"، تعاني - منذ سنوات - من الإقصاء ونزع الشرعية من جانب الحقل العلميّ، الذي يريد رسم حدود واضحة بين العلم والسياسة (Eden, 2005; Cash et al., 2003). كما أنّ إپشتاين،

وعلى حدّ فهمي، إنّ هذه المَوْضَعة للمنظمة بالنسبة إلى المجتمع العلميّ متعلّقة، أوّلًا وقبل كلّ شيء، بطبيعة النقد الذي تريد نقله بالنسبة إلى ما يجري في الحقل البحثيّ. إنّ هذا النقد أصوليّ؛ وإنّه يسعى لتغيير المنظومات المهنية والتطبيقية العملية من أساسها، كما أنّه يقوّض جزءًا من الفرضيّات الأساس للمهنة. وعدا ذلك، إنّه مرتبط بشكل وثيق بتقويض مكانة الرواية الصهيونية في تحديد الحكاية الناشئة من المكتشَفات الأثرية في المحيط.

في بحثه عن النَّشاطيّة ضدّ مرض الإيدز، يحسم أنّه لا يوجد جواب بسيط عن السؤال "هل في إمكان الإنسان أن يكون ناشطًا وكذلك عالمًا؟" (Epstein, 1996: 342).

وفعلًا، واضح أنّه، أحيانًا، جمعية "جسر إلى الماضي" لا تُعتبر - بالضرورة - كلاعب مهْنيّ ذي شرعية كاملة في الحقل العلميّ. ومثال مركَزيّ على ذلك يتّضح حول جهد "جسر إلى الماضي" لتنظيم علماء الآثار في إسرائيل وإنشاء اتّحاد مهْنيّ. قبل نحو سنة، بادرت المنظمة إلى إجراء لإنشاء اتّحاد أثريّ مهْنيّ. وعندما بدأت المبادرة تتبلور وتتحقّق، قُبيل أحد اللّقاءات الأوسع التي تمّ تنظيمها، طلب منظّمون آخرون انضمّوا، من الجامعات وسلطة الآثار، شطب اسم أحد علماء الآثار واسم المنظمة من الدعوة. وقد كان التعليل بأنّ هؤلاء متماهون مع أجندة سياسية معيّنة، حيث الاتّحاد المتشكّل لا يريد أن يكون متماهيًا معها.

وعلى حدّ فهمي، إنّ هذه المَوْضَعة للمنظمة بالنسبة إلى المجتمع العلميّ متعلّقة، أوّلًا وقبل كلّ شيء، بطبيعة النقد الذي تريد نقله بالنسبة إلى ما يجري في الحقل البحثيّ. إنّ هذا النقد أصوليّ؛ وإنّه يسعى لتغيير المنظومات المهنية والتطبيقية العملية من أساسها، كما أنّه يقوّض جزءًا من الفرضيّات الأساس للمهنة. وعدا ذلك، إنّه مرتبط بشكل وثيق بتقويض مكانة الرواية الصهيونية في تحديد الحكاية الناشئة من المكتشَفات الأثرية في المحيط. لكن في ما عدا ذلك، يرتبط النقد العلميّ للمنظمة ارتباطًا وثيقًا بنقدها السياسيّ، كما جاء، إلى درجة أنّه لا يمكن الفصل بين النقد على الممارسة العملية والنظرية المعرفية الأثرية، وبين النقد على تبعاته المحيطية، وعلى الطريقة التي يشكّل بها أداة في إرساء قواعد الاحتلال الأرضيّ والمفاهيميّ للميدان على حساب الفِلَسطينيّين. في اللّحظة التي يصبح فيها النقد العلميّ، مهما كان أصوليًا، سياسيًا بشكل مباشر، من جانب منظمة حقوق إنسان مع أجندة سياسية خاصّة بها، ينغلق المجتمع العلميّ ويستصعب استيعاب ومواجهة تشكيلة واسعة من أنواع النقد التي تقترحها المنظمة. لأنّه - من البداية - المجتمع الأثريّ في إسرائيل لا يرى - بالضرورة - إلى علم الآثار كشيء سياسيّ، وهو يواصل محاولة الابتعاد عن الأبعاد السياسية في عمله، حيث إنّ النقد العلميّ الذي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالنقد السياسيّ، وخصوصًا ذلك الذي من شأنه تقويض الفكرة الصهيونية، يحظى بتعامل مزدوج.

ويتطرّق أمنون إلى الطريقة التي يُلغي بها علماء آثار في الجامعات الإسرائيلية الجَدَل النقديّ في علم الآثار:

> "إنّ الجامعات نفسها عندما تحصل على مِلاك وظيفيّ [المحاضرون] تفضّل تلقّي المزيد من الأشخاص الذين يقولون الشيء نفسه. وكأنّهم، لا يقبلون شخصًا آتيًا مع أجندة كهذه [نقدية]. فذلك، عمليًا، قوًى تستنسخ نفسها، بالجَدَل نفسه كلّ الوقت. [إنّهم يُقحمون] كلّ رُفقاء الجَدَل التوراتيّ، علم الآثار التوراتيّ وليس الجَدَل حول علم الآثار والأخلاق. فكأنّما ذوو القوّة هناك يستنسخون أنفسهم من خلال طلّاب البحث لديهم. فمن هذه الناحية، إذًا، كان المرء يتوقّع أن تكون الجامعات، فعلًا، جسم النقد لكلّ العمل الأثريّ لكنّها ليست كذلك، إنّها جزء من المؤسّسة". (٢٠١٨/٠٨/١٣)

واستمرارًا لذلك، طرح نير مسألة أنّ علماء آثار من الحقل الأكاديميّ - المهْنيّ لا ينضمّون إلى "جسر إلى الماضي"، وادّعى أنّه "ليس هناك علماء آثار، لم ينضمّ إلينا علماء آثار. كنّا في البداية ثلاثة، بقينا ثلاثة، ولربّما أربعة. [...] إنّه، فقط، من يهتمّ بما هو أبعد من علم الآثار ينضمّ إلى هذا الأمر". (٢٠١٨/٠٨/١٤)

المجتمع الإسرائيليّ، وخصوصًا في إطار الجَدَل السياسيّ المتشكّل في السنوات الأخيرة غير مفتوح أمام مفاهيم تسعى لتقويض الرواية الصهيونية كمسيطرة على المحيط والوعي. حتّى إنّ اليسار في إسرائيل - على مرّ السنين - يستند إلى ويتمأسس على المبادرة الصهيونية كقاعدة لا يمكن تقويضها لوجود دولة إسرائيل.

المجتمع الإسرائيليّ بشكل عامّ واليسار بشكل خاصّ

هناك مجتمع آخر يقف في مركَز عمل "جسر إلى الماضي" وهو المجتمع الإسرائيليّ بشكل عامّ، ومواقف اليسار بشكل خاصّ. كمنظمة سياسية من أجل حقوق الإنسان، فإلى حدّ بعيد هذا هو الجمهور الرئيس الذي تسعى المنظمة للتوجّه إليه، كما تسعى لتجنيده إلى أفكارها وأهدافها السياسية. ومع ذلك، فإنّه، أيضًا، بالتوجّه إلى المجتمع الإسرائيليّ تواجه المنظمة - شأنها شأن منظمات مجتمع مدنيّ أخرى، عمليًّا - معضلات خاصّة بأسلوب الحوار وطبيعته. بداية، ليس طلب تقويض أو التفكير من جديد في كيفيّة تنظّم المعرفة في العالم وفي دور ومسؤولية عالم الآثار في النشاط العلميّ، مفهومًا ضمنًا بالنسبة إلى الجمهور الواسع. الأفكار العصرية تتمأسس - إلى حدّ بعيد - وتؤكّد على صلاحيّات المعرفة ودور الخبير في تنظيم الواقع الاجتماعيّ. لا يتماشى هذا المفهوم التفكيكيّ والنقديّ الذي يؤكّد على توزيع القوّة والصلاحيّات المهنية- بالضرورة - مع المفاهيم المجتمعية.

ثانيًا، المجتمع الإسرائيليّ، وخصوصًا في إطار الجَدَل السياسيّ المتشكّل في السنوات الأخيرة غير مفتوح أمام مفاهيم تسعى لتقويض الرواية الصهيونية كمسيطرة على المحيط والوعي. حتّى إنّ اليسار في إسرائيل - على مرّ السنين - يستند إلى ويتمأسس على المبادرة الصهيونية كقاعدة لا يمكن تقويضها لوجود دولة إسرائيل. وبشكل عامّ - يدّعي أمنون - لا يدرك اليسار في إسرائيل أهمّية التاريخ، ويفضّل التركيز على أفكار حديثة خاصّة بالديمقراطية والمساواة:

> ... كلّ الجمهور بعيد منك جدًّا. جمهور علماء الآثار، الجمهور بشكل عامّ، وخصوصًا اليسار أيضًا، الذي هو ليس هناك إطلاقًا [...] كلّ مسألة العلاقة بالتاريخ، بالماضي، بالميراث، إنّه ليس جَدَل اليسار. إنّ جَدَل اليسار ديمقراطية، حقوق إنسان، ومساواة. قيم العصريّة. وكلّ مسألة الماضي لا إطلاقًا [...] إنّهم موجودون جدًّا في أوروبا، إنّهم موجودون جدًّا داخل الصراع السياسيّ، الدوليّ، وحقوق الإنسان، وإنّهم يديرونه.. وإنّهم موجودون جدًّا في جَدَل أوروبيّ، ليبيراليّ، يديرونه، حيث إنّ مسألة التوراة، التاريخ، الميراث، الآثار غريبة عليهم جدًّا، لكأنّها مسألة خاصّة باليمين، يبدو ذلك جزءًا من القومية، من القومجية.

لذلك، يتطلّب الأمر قدْرًا كبيرًا من التنسيق في الرسائل وفي نوع التعاونات المتشكّلة من جانب المنظمة، لكي تجنّد إلى صفوفها دعمًا جماهيريًّا. "يجب التفكير، أن ننتج لأنفسنا صوتًا، ليس صوتًا مستفزًّا، لا بل صوت يمكن فهمه، صوت يجب أن يتوجّه إلى المركَز أن يجعل نفسه معتدلًا"، قالت لي يوڤل. (٢٠١٨/٠٧/٠٨)

الردّ على التوتّر بين المهنيّ - العلميّ والسياسيّ

داخل "جسر إلى الماضي" هناك جوابان محتمَلان على الأقلّ للتوتّر الوجوديّ لكن الجوّانيّ بين السياسيّ والمهْنيّ، الذي يؤثّر على الحكاية التي تنظّم المنظمة، وكذلك على تعاوناتها – حيث هي إلى حدّ معيّن عكس بعضها بعضًا، لكن على الرغم من ذلك هي موجودة بالتوازي. الأول، هو الاقتراح، التركيز في خلق بدائل من أجل إنتاج المعرفة وحفرها، من خلال تحسين الأخلاق وأدوات البحث الأثرية. إنّ هذا الجواب يركّز على التحدّيات التي تؤكّد عليها المفاهيم النظرية – الفكرية التي عرضتها أعلاه، وفي إطارها إسقاطات إنتاج المعرفة على المحيط والمجتمع، والقوّة التي

تفعّلها المعرفة في الواقع الاجتماعيّ. من ناحية الحلول التي يجب دفعها قُدُمًا، يستند هذا الموقف إلى الاعتراض على طرائق حفر غير شرعية ومسيئة، والدفع قُدُمًا بتشكيلة اقتراحات علماء الآثار في أرجاء العالم، وفي أساسها علم الآثار الأصلانيّ والجماهيريّ. يشرح داني عن الإسقاطات الواسعة التي يراها للأخلاق المهنية:

> كنت ناشطًا، خارج الأكاديميا [...] ودائمًا شعرت بأنّ ذلك جزء من وجودي. قمت لفترة طويلة جدًا بهذا التمييز بين ما أقوم به في سلطة الآثار أو في الجامعة بعد ذلك، وبين ما أقوم به في وقت فراغي. [...] وشيئًا فشيئًا توصّلت إلى الاستنتاج أنّني أستطيع القيام بذلك من داخل علم الآثار، من داخل المهنة، كمحاضر، ككاتب، كحافر، كلّ هذه الأشياء، أنّه يمكنني أن أختار القيم التي أريد الدفع بها قُدُمًا أو المهمّة بالنسبة لي، التي هي مركَزية لهُويّتي، والقيام بعمل مهْنيّ هو هذا، أيضًا. [...] إنّك تطوّرين لنفسك موقفًا يقول ما هو جيّد وما هو غير جيّد، صحيح؟ ليس هذا سؤالًا موضوعيًا، هناك أشياء نحن، أغلب الناس، أغلب إنسانيّتنا أو ثقافتنا، تعرف أنّها من الجيّد – أن يكون المرء سليمًا أفضل من أن يكون سقيمًا، أن يكون حيًا أفضل من أن يكون ميّتًا، أشياء من هذا القبيل، تمام؟ أشياء أساسية جدًا، أن يتحلّى المرء بأمان تشغيليّ أفضل من أن يكون عاطلًا من العمل. هناك أشياء نعرف الفرق فيها بين الخير والشرّ، فعالم الآثار الذي يؤدّي عمله إلى أن يكون المحيط أجمل، إلى أن يكون الناس سعداء أكثر، إلى أن يكون العيش هناك هانئًا أكثر، إلى أن يعرف الناس أكثر، أنّهم يستمتعون، لا أعرف، أشياء كهذه نعتبرها جيّدة تحدث هناك، إذًا هذا عالم آثار يقوم بعمل جيّد. أمّا عالم الآثار الذي يأتي ويجعل المكان أقبح أو مكانًا يستشري فيه العنف، أو مكانًا لا عدل فيه، بمفهوم أنّ الناس الذين لديهم كلّ شيء موجودون إلى جانب أُناس ليس لديهم شيء، وليس هناك أيّ اتّصال بينهم، فذلك سيّئ..." (٢٠١٨/٠٢/٠٣)

يدّعي هذا الجواب على التوتّر القائم بين السياسيّ والمهْنيّ، عمليًا، أنّ تصحيح الأخلاق وتوثيقها في علم الآثار سيساعدان على التأكّد من أنّ علم الآثار لا يمسّ المكان الذي يعمل فيه ويتمّ فيه تنفيذه. وكفعل ناتج عن ذلك، وفي سياق "جسر إلى الماضي"، سيؤدّي إلى انفصال أو – على الأقلّ – إلى تراجع تأثير علم الآثار على الصراع الإسرائيليّ – الفلَسطينيّ. أي أنّ أخلاقًا أدقّ معناها تدخّل أقلّ لعلم الآثار في المصنع السياسيّ للاحتلال.

وإنّ هذا التوجّه يتجاوب – وإن بصورة غير مباشرة – مع التوتّر الناتج في مقابل المجتمع الأثريّ العلميّ، من خلال تأكيد القضايا العلمية وتغليبها على تلك السياسية، كطريق للتجسير على الأثمان التي تجبيها المعارضة السياسية المباشرة.

وهناك مفهوم آخر موجود لدى جزء من النشطاء في المنظمة وهو – بالذات – الحدّ من الاشتغال المهْنيّ للمنظمة، والانتقال إلى العمل على صُعُد أوضح لمنظّمات حقوق إنسان. لا يدعو هذا التوجّه إلى ترك البعد المدينيّ ليشكّل القاعدة لإقامة المنظمة، وفي أساسه إدراك أهمّية المفاهيم التاريخية والروايات في استمرار الصراع السياسيّ وإسقاطاته على المحيط؛ لكنّه يسعى لاستخدام ذلك كقاعدة فكرية فقط، يتمّ تحقيقها بأدوات سياسية لمنظّمات حقوق إنسان.

وقد عبّر نير عن هذه الفكرة فعلًا، كهدف حقيقيّ يراه لاستمرار وجود المنظمة:

> من الصعب جدًا أن يكون المرء جيّدًا في مجالين، حسَب رأيي. يعني ذلك.. يذكّرني ذلك بعالم الفنّ حيث يقولون تعال لنرى فنًا جيّدًا وتعال لنرى فنًا سياسيًا، ومن الصعب جدًا القيام بفنّ هو، أيضًا، جيّد، وسياسيّ [...] إنّ "جسر إلى الماضي" تحمل وِزْر أمر مهْنيّ، أثريّ وما إلى ذلك، لكنّ المهنية الحقيقية لـ"جسر إلى الماضي" هي أن تكون منظمة. منظمة تعمل في ميدان حقوق الإنسان، في ميدان النضال من أجل الميراث، في ميدان النضال ضدّ الاحتلال. هذا هو طموحي، على الأقلّ. [...] وكمنظمة كهذه لدينا المزيد من العمل. نحن لسنا مهنيّين بما فيه الكفاية مثلما كنت أريد، بمفهوم منظمة عارفة بالنضالات. إنّ المنظمة المهنية في نظري هي "شوڤريم [شتيكا]" [كسر الصمت]، فلنقل، "بتسلم". [...] وبتعبير كبير كبير كبير، هما من ناحيتي رول موديل للمنظّمات المهنية، و"جسر إلى الماضي" ليست هناك، إنّها لا تزال في هذا الجَدَل، ولا أعتقد أنّ ذلك جيّد بالنسبة إليها، وذلك يمنعنا من التأثير أكثر ومن النموّ. (٢٠١٨/٠٨/١٤)

وحسَب هذا التوجّه، إنّ الاستناد إلى التعليلات المهنية يوقف المنظمة عن توسيع تأثيرها، خصوصًا على المجتمع الإسرائيليّ وصنّاع القرار. إنّه يعبّر عن تحديد تسلسل أفضليّات آخر، للعلاقة بين المهْنيّ والسياسيّ، وحسَبه الأهداف السياسية لإنهاء الاحتلال الإسرائيليّ مهمّة ومركَزية أكثر، وإنّ محاولة تحسين الأخلاق في علم الآثار ليست الطريق المركَزية لتحقيقها. إلى حدّ بعيد، إنّه يسعى ليكون شبيهًا بجَدَل حقوق الإنسان، لكن مع إضافة أهمّية

تاريخ الماضي وروايته. إنّ هذه العلاقة بين الأفكار يمكن تجنيدها لهدف التأثير بشكل سياسيّ على إنهاء الصراع ووقف استغلال الأراضي الفِلَسطينية وتملّكها.

ومن ناحية بنيوية – تنظيمية، يؤدّي هذا التوجّه إلى حدّ بعيد من التشاكل (Powell & DiMaggio, 1991)، التماثل التنظيميّ، بين "جسر إلى الماضي" وبين منظّمات حقوق إنسان أخرى من ناحية جدول سلسلة الأعمال، أسلوب الحوار، تجنيد التبرّعات، وتوزيع الأدوار في المنظمة. إنّ ذلك يتيح تنظيم العملية على أساس تجربة سابقة لمنظّمات تواجه صعوبة أن تبثّ إلى المجتمع الإسرائيليّ نوعًا معيّنًا من الرسائل، كما أنّه يوفّر مجتمعًا متعاونًا يصبح القاعدة الفكرية – القيَمية – الحقيقية للمنظمة. وبمفهوم معيّن، هكذا تصبح المعرفة الخاصّة التي تأتي بها المنظمة إلى الميدان ثانوية، وفي كثير من الأحيان تُستخدم كأداة فردية لتحقيق الأهداف.

ولكن، رغم وجهتَي النظر هاتين، اللّتين تسعيان لتأكيد مناحٍ مختلفة للعلاقة بين المِهْنيّ والسياسيّ، فإنّ محاولة التأثير على الواقع الاجتماعيّ من خلال مفهوم علم الآثار والميراث كأدوات مؤثّرة في المحيط، منوطة - على الرغم من ذلك – بإدراك العلاقة بين البعدين. إنّ هذا الربط مطلوب - حسَب أمنون – الذي يعتبر كلّ عمل مهنيّ عملًا سياسيًّا، بالمفهوم الواسع للمصطلح، خصوصًا في اللّحظات التي يؤثّر فيها هذا الأمر على واقع الحياة بهذا الشكل أو ذاك. كما أنّ يوڤل ادّعت أنّ "الدولة تستخدم المنبر المِهْنيّ من أجل إحداث تغيير سياسيّ، ويجب الحديث بهذه اللّغة والنضال من خلال الأدوات [...] إنّنا ندرك أنّ كلّ شيء مترابط بكلّ شيء، وكلّ شيء في إطار جَدَل من المجدي الحديث فيه بشكل متداخل المجالات" (٢٠١٨/٠٨/٠٧). لذلك، ليس مفاجئًا أنّه يجري الحديث عن مسألة مهمّة، تشغل المفهوم الشخصيّ للناشطين، وهي تشكّل الاختيارات التي يقومون بها في الحقل المِهْنيّ والسياسيّ، تحرّك وتنظّم من جديد مبنى المنظمة، وتؤثّر على التفاعلات القائمة بين لاعبين مختلفين داخل المنظمة، كما، أيضًا، في الميدان الأثريّ الإسرائيليّ ومنظّمات حقوق الإنسان. هذا وإنّ قوًى مختلفة في المنظمة تشدّ في اتّجاهات مختلفة، لأنّ النقاش في السؤال الكبير "can one be both activist and scientist?" (Epstein, 1996: 342)، حتّى إذا أجاب عنه النشطاء، فهو غير محلول في نظر الجمهور والمجتمع العلميّ.

تلخيص

سعيت في هذا المقال للوقوف على منحًى مركَزيّ واحد في التحدّي الذي تواجهه منظّمات اجتماعية في ترجمة أفكار علمية نقدية إلى فعل سياسيّ. وقد استفتحت بعرض الأبعاد السياسية لعلم الآثار، كمجال معرفة متعلّق تعلّقًا وثيقًا بمفاهيم اجتماعية – سياسية وبالمؤسّسات المؤثّرة على تأويل المكتشَفات، كالدولة أو المنظّمات الدينية. ثمّ توسّعت بالنسبة إلى الأبعاد السياسية لعلم الآثار في إسرائيل، وإلى الأسلوب الذي تدرك به مفاهيم بعد استعمارية، كذلك الذي تقترحه أبو الحاجّ، العمل الأثريّ في إسرائيل كأمر متعلّق بالمشروع القوميّ والاستعماريّ لاحتلال الأرض والوعي. واستمرارًا لذلك، أردت أن أدّعي أنّ المفهوم الفكريّ – النظريّ لمنظمة "جسر إلى الماضي" راسخ في مفاهيم نقدية من قبيل هذه، التي تؤكّد على المسؤولية الأثرية لمحيط الحفر، تأثير الماضي على ما يجري في الحاضر، وتأويل المكتشَفات كأمر ذاتيّ، متحرّك، ومتعدّد الأبعاد. وبعد ذلك، أوضحت كيف أنّ هذه الأفكار تصبح نقدًا سياسيًّا مباشرًا للمنظمة، هو راسخ داخل سياق الصراع الإسرائيليّ – الفِلَسطينيّ واحتلال شرق القدس والضفة الغربية. ومثّلت لذلك من خلال موقع عمل ونقد مركَزيّ للمنظمة – الموقع الأثريّ "عير داڤيد" في حيّ سلوان الفِلَسطينيّ.

وبالاستناد إلى هذه القاعدة الفكرية والسياسية، أردت أن أبيّن كيف ينشأ توتّر مركَزيّ في عمل المنظمة حول التناقض الموجود بشكل جوّانيّ بين منظمة مهنية، تدفع قُدُمًا بالأخلاق المهنية والعمل العلميّ، وبين منظمة سياسية، تسعى لتغيير سياسة وعلاقات قوًى في حيّز إسرائيل/ فِلَسطين. وقد أوضحت تعابير هذا التوتّر من خلال اللقاء بين المنظمة وبين الجمهور الذي تعمل داخله - المجتمع العلميّ والجمهور الإسرائيليّ. واستمرارًا لذلك بيّنت أنّ هذا التوتّر يجرّ أساليب عمل ومبادئ تفكير مختلفة داخل المنظمة نفسها، حيث تشدّ المنظمة إلى اتّجاهات مختلفة، متعاكسة إلى حدّ ما. ومع ذلك، أدّعي أنّ التوتّر القائم بين المِهْنيّ والسياسيّ هو سؤال مؤسِّس وجوهريّ في منظّمات من هذا النوع، ولذلك فهو لا يزال يصاحب نشطاء المنظمة ويشكّل جزءًا لا يتجزّأ من العوامل التي تشكّل جدول تسلسل العمل.

يسعى المقال لتوسيع وجهة النظر البحثية بالنسبة إلى سياسة علم الآثار في إسرائيل، ولاختبارها من وجهة نظر من يعارضون الممارسة العملية ونظرية المعرفة العلمية. كما أنّه يقترح نقاشًا في الحكاية المؤسِّسة لمنظّمات حقوق الإنسان، وفي تحويل الأفكار إلى فعل سياسيّ. عدا ذلك، إنّه، عمليًّا، يشير إلى الثنائية الكامنة في العمل التنظيميّ: من جهة، الانتقال من الأفكار إلى الفعل لا يخلو من المصاعب، ويتطلّب عملًا ومعالجة دائمين، لهما إسقاطات بعيدة المدى على العمل السياسيّ - الاجتماعيّ. ومن جهة أخرى، إنّه، أيضًا، ذلك الذي يتيح الانتقال من الأفكار إلى الفعل، ويقترح تغيير الواقع الاجتماعيّ والعلميّ بأدوات تنظيمية وسياسية متنوّعة.

(ترجمه عن العبرية: أسعد عودة)

الهوامش

١ اسم المنظمة مستعار لغرض الحفاظ على سرّية ناشطيها.

٢ جميع الأسماء في هذا المقال مستعارة.

قائمة المراجع:

- بن-أري، ي. "علم آثار يهوديّ أو عامّ: 'بحث أرض إسرائيل' حتّى ١٩٤٨"، في فايـچـه م. وشيلوني ص. (محرّرين) **قَدّوم للحفر به: علم الآثار والقومية في أرض إسرائيل**. بئر السبع: معهد بن غوريون لبحث الصهيونية وإسرائيل، جامعة بن غوريون، ٢٠٠٨، ص.١٩-٤٢. [بالعبرية]
- يقوتيئلي، ي. "من حقل القومية إلى حقل رأس المال - علم الآثار في أيّامنا، ١٩٨٩-١٩٩٨"، في فايـچـه م. وشيلوني ص. (محرّرين) **قَدّوم للحفر به: علم الآثار والقومية في أرض إسرائيل**. بئر السبع: معهد بن غوريون لبحث الصهيونية وإسرائيل، جامعة بن غوريون، ٢٠٠٨، ص. ٢٢١-٢٣٤. [بالعبرية]
- فايـچـه، م. "مدخل: قَدّوم للحفر به: علم آثار يهوديّ أو عامّ: 'بحث أرض إسرائيل' حتّى ١٩٤٨"، في فايـچـه م. وشيلوني ص. (محرّرين) **قَدّوم للحفر به: علم الآثار والقومية في أرض إسرائيل**. بئر السبع: معهد بن غوريون لبحث الصهيونية وإسرائيل، جامعة بن غوريون، ٢٠٠٨، ص. ١-١٨. [بالعبرية]
- فايـچـه، م. "الجاليات المتخيَّلة لعلم الآثار: عن القومية، الأُخرويّة، وسطح الأرض"، **ثقافة ديمقراطية** ١٢ (٢٠٠٩)، ص. ١٦٧-٢٠٥. [بالعبرية]
- Abu El-Haj, N. *Facts on the Ground: Archaeological practice and territorial self-fashioning in Israeli society*. Chicago: The University of Chicago Press, 2001.
- Atalay, S. *Community-based Archaeology: Research with, by, and for indigenous and local communities*. Berkeley: University of California Press, 2012.
- Atalay, S. et al. (eds.) *Transforming Archaeology: Activist practices and prospects*. Walnut Creek, CA: Left Coast Press, 2014.
- Ben-Yehuda, N. *The Masada Myth: Collective Memory and Mythmaking in Israel*. Madison: University of Wisconsin Press, 1995.
- Bourdieu, p., & Wacquant, L. An Invitation of Reflexive Sociology. Cambridge: Polity, 1992.
- Cash, D. et al.. Salience, Credibility, Legitimacy and Boundaries: Linking research, assessment and decision making. *KSG Working Papers Series RWP02046*, 2003

  https://ssrn.com/abstract=372280 or http://dx.doi.org/10.2139/ssrn.372280.
- Castaneda, Q. E. Situating Activism in Archaeology: The Mission of Science, the Activist Affect, and the Archaeological Record, in Atalay s. et al (eds.) *Transforming archaeology: Activist Practices and Prospects*. Walnut Creek, CA: Left Coast Press,2014, pp. 61-90.
- Dietler, M. "Our Ancestors the Gauls": Archaeology, Ethnic Nationalism, and the Manipulation of Celtic Identity in Modern Europe, *American Anthropologist* 96(3) (1994), pp. 584-605.
- Eden, S.. Green, gold and grey geography: Legitimating academic and policy expertise. *Transactions of the Institute of British Geographers* 30(3) (2005), pp.282-286.
- Elon, A. Politics and Archaeology, in Silberman N.A and Small D.B. (eds.), *The Archaeology of Israel: Constructing the Past, Interpreting the Present*. Sheffield: Sheffield University Press, 1997, pp. 34-47.
- Epstein, S. *Impure Science: AIDS, activism and the politics of knowledge*. Berkeley: University of California Press, 1996.
- Evetts, J. (2003) The Sociological Analysis of Professionalism. *International Sociology* 18(2) (2003), pp. 395-415.
- Faulkner, N. (2000). Archaeology from below. *Public Archaeology* 1(1) (2000), pp. 21-33.
- Ferris N., Harrison R., Wilcox M. V. (eds.). *Rethinking Colonial Pasts Through Archaeology*. Oxford: Oxford University Press, 2014.
- Foucault, M. *Power/knowledge: Selected interviews and other writings, 1972-1977*. Brighton, Sussex: Harvester Press, 1980.
- Gathercole, P., & Lowenthal, D. (eds.). *The Politics of the Past*. London: Routledge, 1990.
- Gori, M. The stones of contention: The role of archaeological heritage in Israeli-Palestinian conflict. *Archaeologies* 9(1) (2013), pp. 213-229.
- Hallote, R. S., & Joffe, A. H. The politics of Israeli archaeology: Between "nationalism" and "science" in the age of the Second Republic. *Israel Studies* 7(3) (2002), pp. 84-116.
- Haraway, D. Situated Knowledges: The science question in feminism and the privilege of partial perspective, in K. Asdal, B. Brenna and I. Moser (eds.) *Technoscience: The politics of interventions*. Oslo: Oslo Academic Press, Unipub, 2007, pp.109-134.
- Hart, S. M., Oland, M., & Frink, L. Finding Transitions: Global pathways to decolonizing indigenous histories in archaeology, in Oland M., Hart S. M., & Frink L. (eds.) *Decolonizing Indigenous Histories: Exploring prehistorical/colonial transitions in archaeology*. Tucson: The University of Arizona Press, 2012, pp.1-18.
- Hodder, I.. Archaeological reflexivity and the "local" voice. *Anthropological Quarterly* 76(1) (2003), pp.55-69.
- Hodder, I., & Hutson, S. *Reading the Past: Current approaches to interpretation in archaeology*. Cambridge: Cambridge University Press, 2003.
- Kohl, P. L. Nationalism and archaeology: On the constructions of nations and the reconstructions of the remote past. *Annual Review of Anthropology* 27(1) (1998), pp.223-246.
- Kohl, P. L., & Fawcett, C. Archaeology in the service of the state: Theoretical considerations, in P. L. Kohl and C. Fawcett (eds.), *Nationalism, Politics and the Practice of Archaeology*. Cambridge: Cambridge University Press, 1995, pp. 3-18.

- Shackel, P., & Chambers, S. (eds.). *Places in Mind: Public archaeology as applied anthropology*. New York: Routledge, 2004.
- Shanks, M., & Tilley, C. Y. *Social Theory and Archaeology*. Albuquerque: University of New Mexico Press, 1987.
- Shanks, M., & Tilley, C. Y. *Re-constructing Archaeology:* Theory and Practice. London: Routledge, 1992.
- Silberman, N. A. *Between Past and Present: Archaeology, Ideology, and Nationalism in the Modern Middle East*. New York: Anchor Books, 1990.
- Silberman, N. A. Promised lands and chosen peoples: The politics and poetics of archaeological narrative, in P. L Kohl and C. Fawcett (eds.), *Nationalism, Politics and the Practice of Archaeology*. Cambridge: Cambridge University Press, 1995, pp. 249-262.
- Silberman, N. A. If I forget thee, O Jerusalem: Archaeology, religious commemoration and nationalism in a disputed city, 1801-2001. *Nations and Nationalism* 7(4) (2001), pp. 487-504.
- Silberman, N. A., & Small, D. B. Introduction, in Silberman N.A., & Small D.B. (eds.) *The Archaeology of Israel: Constructing the Past, Interpreting the Present*. Sheffield: Sheffield University Press, 1997, pp.17-31.
- Stottman, M. J. Introduction: Archaeologists as activists, in J. Stottman (ed.), *Archaeologists as Activists: Can archaeologists change the world*? Tuscaloosa: University of Alabama Press, 2010, pp.1-18.
- Trigger, B. G. Romanticism, nationalism, and archaeology, in P. L Kohl and C. Fawcett (eds.), *Nationalism, Politics and the Practice of Archaeology.* Cambridge: Cambridge University Press, 1995, pp. 263-279.
- Trigger, B. G. Alternative Archaeologies: Nationalist, Colonialist, Imperialist. *Man* (N.S) 19(3) (1984), pp. 355-370.
- Van Dommelen, P. (1997). Colonial constructs: Colonialism and archaeology in the Mediterranean. *World Archaeology* 28(3) (1997), pp. 305-323.
- Wylie, A. The Constitution of Archaeological Evidence, in T. Insoll (ed.), *The Archaeology of Identities: a reader.* New York: Routledge, 2007, pp. 97-118.
- Kohl, P. L., Kozelsky, M., & Ben-Yehuda, N. Introduction, in P. Kohl, M. Kozelsky and N. Ben-Yehuda (eds.), *Selective Remembrances: Archaeology in the construction, commemoration, and consecration of national pasts*. Chicago: University of Chicago Press, 2007, pp.1-28.
- Landy, D. The place of Palestinians in tourist and Zionist discourses in the 'City of David', Occupied East Jerusalem, *Critical Discourse Studies*, (2017), pp.1-15.
- Lydon, J., & Rizvi, U. Z. (eds.). *Handbook of Postcolonial Archaeology*. New York: Routledge, 2016.
- McGuire, R. H. *Archaeology as Political Action*. Berkeley: University of California Press, 2008.
- Merriman, N. (ed.). Public Archaeology. New York: Routledge, 2004.
- Meskell, L. (ed.). *Archaeology Under Fire: Nationalism, politics and heritage in the eastern Mediterranean and Middle East*. London: Routledge, 1998.
- Moore, K. (1996). Organizing integrity: American science and the creating of public interest organizations, *American Journal of Sociology* 101(6) (1996), pp.1592-1627.
- Politis, G., & Perez Gollan, J. A. Latin American archaeology: From colonialism to globalization, in Meskell L. & Preucel R. W. *A Companion to Social Archaeology.* Oxford: Blackwell Publishing, 2007, pp.333-373.
- Powell, W.W., & DiMaggio, P.J. *The New Institutionalism in Organizational Analysis*. Chicago: The University of Chicago Press, 1991.
- Pullan, W., & Gwiazda M. 'City of David': Urban design and frontier heritage, *Jerusalem Quarterly* 39 (2009), pp. 29-38.
- Saks, M. A Review of Theories of Professions, Organizations and Society: The case for neo-Weberianism, neo-institutionalism and eclecticism. *Journal of Professions and Organization* 3 (2016), pp.170-187.
- Schinkel, W., & Noordegraaf, M. Professiona;ism as Symbolic Capital: Materials for a Bourdieusian theory of professionalism. *Comparative Sociology* 10 (2011), pp.67-96.